5- جماعة أبوللو:

وأما المجموعة الثانية، فأطلقت على نفسها اسم (أبوللو) [1] كما أسلفنا الذكر، وأبوللو هو إله الشعر عند اليونان- كما يعتقدون- ويبدو من خلال التسمية أن الجماعة أرادت أن يكون لها صبغة عالمية وبعدا تاريخيا غربيا، واختيار شاعر كبير كشوقي لرئاستها هو من باب التشريف والتكريم لهذا الشاعر من ناحية، ومن ناحية ليكون لها صيت على المستوى العربي، كما يشير إلى أن الجماعة لا تشترط في المنتمين إليها وإلى مجلتها اتجاها معينا أو انتماء محددا، فقد انضوى تحت لوائها شعراء مختلفو المشارب، ومن شتى الأقطار العربية، في حين كانت الديوان ثلاثية التركيبة مصرية الانتماء.

لـخليل مطران رئيس أبوللو رأي في شعره وفي الشعر الذي يوصف بأنه عصري، فقد ورد في تقديمه لديوانه في الجزء الأول قوله:« هذا الشعر ليس ناظمه بعبده، ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح، ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد، ولو أنكر جاره وشاتم أخاه، ودابر المطلع وخالف الختام، بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه، وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق معانيها وتوافقها، مع ندور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف » ، فالشاعر ليس من عبيد النظم، لا يتصنع فى نظمه ولا ترغمه القافية على غير ما يريد من المعاني، ينظر إلى جمال البيت الشعري في موضعه من القصيدة بحيث لا يأتي نشازا، وإلى جمال القصيدة برمتها وهي متناسقة الأبيات متلاحمة الأجزاء، متوافقة المعاني، وهذا الموقف شبيه بما نادت به مدرسة الديوان من أن القصيدة عمل فني تام يكتمل مثلما يكتمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها، ومع هذا لابد أن تحمل القصيدة تصورا نادرا طريفا يجمع بين غرابة الموضوع، ومطابقة الحقيقة، وحرية الشعور ودقة الوصف.

---

[1]- (أبوللو جماعة أدبية دعا إلى تأسيسها الشاعر الطبيب أحمد زكى أبو شادي عام 1932، ولها مجلة بالاسم نفسه تنشر شعر الشباب، ترأسها أمير الشعراء أحمد شوقي، ثم آلت رئاستها إلى شاعر القطرين خليل مطران، ضمت الجماعة عددا ضخما من الشعراء المنطلقين المتحررين الذين استلهموا من مختلف المذاهب الأدبية الغربية في الشعر كالرومنسية والواقعية والرمزية والطبيعية والبرناسية، ومن أعلام هذه الجماعة إضافة إلى من ذكرنا، الطبيب إبراهيم ناجي، والمهندس علي محمود طه، وأحمد محرم، وحسن كامل الصيرفي، ومحمد عبد الغني حسن، ومحمود حسن إسماعيل، ومحمد عبد المعطي الهمشري، وطاهر أبو فشاشة، وأحمد الشامي من اليمن، ومحمد الفيتوري من السودان، وأبو القاسم الشابي من تونس. ينظر حامد، حفني داود: تاريخ الأدب الحديث، تطوره معالمه الكبرى مدارسه، ص 61، 62).

ولعل من القصائد الجميلة التى تبين عن رؤيته هذه إلى الشعر قصيدة (المساء)، التي نظمها في الإسكندرية وهو عليل يعاني من آلام جسمه، وآلام صبوته:

داء ألم فخلت فيه شفائـــي   من صبوتي فتضاعفت برحائي
يا للضعيفين استبدا بي ومـا   في الظلم مثل تحكم الضعفـــاء
قلب أذابته الصبابة والجوى   وغـلالـة رثــــت من الأدواء

ألفاظ فصيحة، ووصف دقيق في قالب قديم من الموسيقى والأوزان، إلى أن يقول:

متفــــرد بصبـــــــابتي، متفـــرد   بكــــــآبتي، متفــرد بعنـائي
شاك إلى البحر اضطراب خواطري   فيجيبني برياحه الهوجـــــاء
ثاو على صخر أصم، وليـــــت لي   قلبا كهذي الصخرة الصمـاء
ينتابها موج كموج مكـــــــــارهي   ويفتها كالسقم في أعضائـــي
والبحر خفـــاق الجوانب ضـــائق   كمدا كصدري ساعة الإمساء

ذاتية في التألم والمعاناة، وهروب إلى الطبيعة، ومحاورة لها، وتمازج معها، وتشخيص للبحر والصخر، وإسقاط لما في النفس على الطبيعة، فالشاعر يجمع بين القديم والجديد في تناغم تام، وجو من الرومنسية الحزينة المتألمة.

و أشد ما يبرز تأثير الرومنسية في زميله الشاعر المهندس **علي محمود طه**، شاعر العاطفة والوصف، شاعر مولع بما قرأ في الأدب الغربي لاسيما للشاعر الفرنسي (ألفونس دي لامارتين)، والشاعر الإنجليزي شيلي، شغف علي محمود طه بجمال الطبيعة ووصفها، «جمال الريف، وجمال البحر، وجمال الفنون، وزاد عليها الشاعر أنه كان مهندسا، والهندسة أحد الفنون الجميلة[...] وزاد في إرهاف ذوقه وحسه أنه طاف في كثير من أنحاء العالم، ووقف في مواطن الجمال» ، وكان من مبلغ تأثره بالشاعر الفرنسي لا مارتين أن ترجم له قصيدة (البحيرة) ، واستوحى منها حين نظم قصيدة (إلى البحر) في ديوان (الملاح التائه)، وهذا شيء منها:

لي وراء الأمواج يـــا بـــحر   قلب نازح الدار ما له من مـآب
نزعته مني الليالي فأمســـــى   وهو ملقى في وحشة واغتراب
ذكريات تدني القصي ولكــــن   أين مني منازل الأحبـــــاب؟

أنا وحدي هيمان في لجك الطا مي غريق في حيرتي وارتيابي
أرمق الشـــــاطئ البعـيد بعين عكفت في الدجى على التسكاب
بيد أنـــــــي أحس فيك شفـاء من سقامي، ورحمة من عذابـي
أنت مهد الميلاد والموت يا بحـ ر ومثوى الهمـــوم والأوصـاب
فأنا فيك أطرح الآن آلامـــــي وعبء الحيـــــاة والأحقـــاب

فهذه الوقفة أمام البحر، واسترجاع الذكريات، والتأملات الحيرى، ورجاء العزاء من الطبيعة، نجد مثله في قصيدة (البحيرة) للامارتين التي ترجم منها عيسى الناعوري:

أيتها البحيرة! قبل أن ينصرم هذا العام
وبالقرب من أمواجك الحبيبة التي كان عليها أن نلتقي بها مرة ثانية
أنظري، ها أنا أجلس وحيدا على هذه الصخرة
التي رأيتِها من قبل تجلس عليها
وكنت تستلقين تحت هذه الصخور العتيقة
وتتكسرين على حوافك الممزقة
وكانت الريح تلقي بزبد أمواجك تحت
قدميها المعبودتين.

ولئن حافظ علي محمود طه في كثير من شعره المثبت في دواوينه على نظام القصيدة العمودية، فإن له من القصائد ما حاول فيه التجديد في هذه التجربة القديمة بإدخال تعديلات عروضية وموسيقية تقوم على التنويع في القوافي في القصيدة الواحدة، كأن يبنيها في شكل مربعات يتكون كل قسم منها من أربعة أشطر يراعى فيها نظام ما في القافية ، ومنه هذه القطعة من قصيدة (زهراتي):

طال انتظاري ومضى موعدي وأنت مثلي ترقبين المســـاء
كم لك عندي في الهوى من يـد يا زهراتي، أنت رمز الوفاء
يا زهراتي ويك لا تسأمـــــي ولا يرعك الزمن الدائـــــر
لا تطرقي، وابتهجي، وابسمي عما قليل يقبل الزائـــــــر

كما أن للشاعر قصائد استعاد فيها تجربة الموشحات الأندلسية التي تقوم هي الأخرى على تشكيل هندسي جديد في بناء القصيدة، والتنويع في قوافيها بين الأقفال والأغصان، مما يجعلها طيعة للتلحين والغناء، ومن أمثلة ذلك قصيدة (أغنية الجندول في كرنفال فينيسيا)، التي غناها الموسيقار محمد عبد الوهاب، وقد وصف فيها مناظر الاحتفال في مهرجان مدينة فينيسيا المدينة الإيطالية العائمة في البحر، وصور الزوارق المزينة وهي تخوض الماء، مستذكرا مصر والأهرام والنيل، بلغة انسيابية طوّع فيها الألفاظ الأجنبية (كالجندول "الزورق"، والكرنفال "الاحتفال"، والقنال "القناة")، وهذا مطلعها:

أين من عيني هاتيك المجالي؟ يا عروس البحر يا حلم الخيـــال
أين عشاقك سمار الليـــــالي؟ أين من وديك يا مهد الجمـــــال؟
موكب الغيد وعيد الكرنفـــال وسُرى الجندول في عرض القنال
بين كأس يتشهى الكرم خمره
وحبيب يتمنى الكأس ثغـــره
التقت عيني به أول مـــــره
فعرفت الحب من أول نظـره
أين من عيني هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيـــال

وإذا كان علي محمود طه في كثير من شعره متفائلا، مقبلا على الحياة ومباهجها، معجبا بالجمال أينما حل، يصف كرنفال مدينة فينيسيا وهو منطلق تغمره النشوة والفرح، ويثيره الإعجاب فيتذكر النيل ومغانيه، والأهرام وكليوباترا ولياليها، فإن زميله الطبيب الشاعر **إبراهيم ناجي** كان من الشعراء الرومنسيين المنكفئين على ذواتهم، غدا الشعر لديه زفرات وعبرات، ميال إلى الشكوى والبكاء، دائم التبرم من هجر الحبيب وصدوده وإخلافه، فهو حين يصف (ليل فينيسيا) يتذكر موطنه مصر، ولا يثير فيه ذلك إلا المواجع والجراح:

يا رب ما أعجب هذي البلاد لا ليل فيها! كل ليل صباح
وكل وجه في حماها ضمـاد ومصر لا تنبت إلا الجراح

يقول عنه إبراهيم أبو الخشب:« تتضح شخصيته في شعره تمام الوضوح بجميع ملامحها العاطفية، وقسماتها الوجدانية، وهي شخصية شاعر مجروح يئن دائما ويشكو إفلات سعادته

منه بصورة محزنة» ، وحسبنا أن نمثل لذلك ببعض مطالع قصائده من ديوانه (وراء الغمام) الذي يطالعنا بقصيدة (الإهداء):

أنت وحي العبقريـــه وجلال الأبديـــــــه
أنت لحن الخلد والرح مة في أرض شقيـــه
أنت سر تعبت فـــي ه العقول البشريـــــه
إن تك أشجتك أشعـــا ري وأناتي الشجيـــه
فتقبل طاقة بالـــــد م والدمـــع نديـــــه
وارض عنها! وإذا لم ترض فاغفر لي الهديه

فالشعر لديه أنات وشجى، حبره الدماء والدموع، وفي (الحنين) عذاب وضنى، وأضاليل هي الشفاء والدواء:

أمسى يعذبني ويضنينـي شوق طغى طغيان مجنون
أين الشفاء ولم يعد بيدي إلا أضاليـــل تداوينـــي

لكن على الرغم من هذه السوداوية التي طبعت شعر ناجي، فإنه أسهم مثل زملائه في أبوللو في التجديد من حيث اختيار الأوزان الخفيفة والبحور المجزوءة، والتنويع في قوافي القصيدة، وإطلاق العنان لعواطفه وخيالاته، نتلمس ذلك في قصيدة (العودة):

رفرف القلب بجنبي كالذبيـــح وأنا أهتف: يا قلب أتئد
فيجيب الدمع والماضي الجريح لِم عدنا؟ ليت أنا لم نعد

***

لِم عدنا؟ أوَ لم نطو الغـــرام وفرغنا من حنين وألـــــم
ورضينا بسكون وســـــلام وانتهينا لفراغ كالعـــــدم؟!

***

أيها الوكر إذا طار الأليـــف لا يرى الآخر معنى للسماء
ويرى الأيام صفرا كالخريف نائحات كرياح الصحـــراء

إن الشاعر مولع بالتشبيه والاستعارة لا يكاد بيت يخلو منها، فالقلب يرفرف كالذبيح، والدمع محاور يجيب والماضي جريح، والفراغ كالعدم والأيام صفر كالخريف، تنوح كرياح الصحراء.